

الأبعاد التاريخية والسياسية لخطب الرسول في غزواته (دراسة تاريخية)

قسم التاريخ - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية -
جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية

د. أمل عبيد عواض الشببتي

مستخلص :

إتخذ المصطفى عليه أفضل الصلاة و أتم التسليم من الخطابة أسلوب من أساليب عرض الدعوة الإسلامية على قومه، ثم انتقل للمدينة المنورة و توسعت جوانب خطبه عليه الصلاة و السلام ومن ضمن تلك الجوانب خطب الجهاد التي كان لها أثر في توجيه الجيوش الإسلامية، وتهيئة الجيوش بشد سواعدهم بكلماته ليحيي قلوبهم وهم مقبلون على الجهاد في سبيل الله، فكانت الخطبة الوسيلة الأولى التي حرك بها عليه الصلاة و السلام هممهم وقوى بها روح الإيمان و الإخلاص و البذل في سبيل الله عزوجل فكانت خطب غزواته عليه الصلاة و السلام تأتي قبل لقاء العدو بلحظات لتحقيق الغرض منها، فتميزت كل خطبة من خطبه عليه الصلاة و السلام في غزواتها بحد سياسي و تاريخي يطبع خطبته عليه الصلاة و السلام في مقامها بميزة خاصة تتوافق مع البعد التاريخي و السياسي للغزوة، من هنا ارتأت الدراسة البحث في تلك الأبعاد لإيضاح مابها من تأثير و ما لرسول الله عليه الصلاة و السلام من علم وتأثير صلوات ربي و سلامة عليه، ولذلك أستخدمه الدراسة الأسلوب التاريخي البحثي المعتمد على التحليل من خلال استقراء خطبة عليه الصلاة و السلام، فوصلت الدراسة الى نتائج من أهمها ان كل خطبة من خطب غزواته عليه الصلاة و السلام لها خصائص ارتبطت بالبعد التاريخي و السياسي للغزوة فأولى غزواته عليه الصلاة و السلام اتسمت بتذكير بطاعة الله و الصبر و الثبات والوعد بالأجر و المثوبة، فيما اتسمت خطبة ﷺ في غزوة الخندق بالتبشير بالنصر و العزة و الشرف وهكذا كل خطبة غزوة اختلفت بأبعاد تاريخية و سياسية خاصة .

كلمات مفتاحية: خطب الرسول ﷺ، ابعاد سياسية ، ابعاد تاريخية، محمد عليه الصلاة و السلام ، غزوات الرسول ﷺ.

The historical and political dimensions of the sermons of the Prophet, peace be upon him, in his conquests (historical study)
Dr.Amal Obaid Awad Al thubiti

Abstract:

Al-Muṣṭafa, upon him, adopted the best prayer and the most complete delivery of rhetoric as one of the methods of presenting the Islamic call to his people. Then he moved to Medina, and the aspects of his sermons, peace and blessings be upon him, expanded. Among those aspects were the sermons of jihad that had an impact in directing the Islamic armies. And preparing the armies by tightening their sleeves with his words to revive their hearts as they are on the verge of jihad for the sake of God. The sermon was the first means by which prayer and peace be upon him stirred their determination and strengthened the spirit of faith, sincerity and sacrifice in the cause of God the Mighty and Sublime, So were the sermons of his conquests, may prayers and peace be upon him, It comes moments before meeting the enemy to achieve its purpose, so each of his sermons, peace and blessings be upon him, was distinguished in his conquests with a political and historical dimension. Dimensions to clarify what effect it has and what the Messenger of God, may God's prayers and peace be upon him, has knowledge and the effect of my Lord's prayers and peace be upon him, Therefore, the study used the historical research method based on analysis by extrapolating the sermon, peace and blessings be upon him, and the study link to results, the most important of which is that each sermon of his conquests, may God's prayers and peace be upon him, has characteristics that are related to the historical and political dimension of the conquest. Obedience to God, patience, steadfastness, and the promise of reward and reward, while the sermon of the Prophet in the Battle of the Trench was marked by the herald of victory, glory and honor, and so on, each sermon of the battle had special historical and political dimensions.

Keywords: The sermons of the Messenger ﷺ, political dimensions, historical dimensions, Muhammad peace and blessings be upon him, the conquests of the Messenger

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا ونبينا وحبينا محمد ﷺ عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وبعد: فلقد أتم المولى عز وجل رسالته خاتماً لها برسالة المصطفى محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وبذل عليه الصلاة والسلام جهده في إنشاء وتكوين كيان إسلامي مستقل في دار الهجرة التي اصطفاه لها المولى عز وجل، فوضع الركائز الأولية لبناء المجتمع الإسلامي بالمدينة، من بناء للمسجد النبوي الشريف ومؤاخاته بين المهاجرين والأنصار، ووضع ميثاق المدينة المنورة الذي وضع فيه نظم الإسلام التي ارتقت بالمجتمع الإسلامي.

فتنوعت أساليبه عليه الصلاة والسلام في قيادته لأتمته فزاه خطيباً بليغاً ونراه قدوة مبادرة في الامتثال لأوامر المولى عز وجل فكانت خطبه عليه الصلاة والسلام وسيلة الدعوة في العهد المكي فكان يعرض على قومه بمكة وعلى زعماء وفود مواسم الحج.

كما اتخذ عليه الصلاة والسلام من الخطابة أداة للدعوة في العهد المكي فكان يعرض على قريش نفسه من خلال خطبه فيهم موضحاً لهم فحوى دعوته عليه الصلاة والسلام، من تبشير وترهيب وتعريف بالمولى عز وجل، ثم انتقل للمدينة واتسعت جوانب خطبه عليه الصلاة والسلام فشملت توضيح لشرائع الإسلام وتنظيم لسلوكيات المسلمين فيما بينهم، ولتوضح السياسات الخارجية مع الآخر. ومن هذا المنطلق ارتأيت أن أضع توضيحاً وتأطيراً عاملاً لهذه الخطب النبوية وتطورها التاريخي وأهمية هذه الخطب بالرجوع إليها كمصدر لدراسة تاريخ سيرته عليه الصلاة والسلام في غزواته واستنباط العبر من خلالها.

أسباب اختيار الموضوع:

- التعرف على الأبعاد التاريخية والجوانب الثقافية والاجتماعية والنفسية المستنبطة من خطب الرسول ﷺ في غزواته واستنباط الدروس والعبر والعظات منها، وهي جديرة بالعناية والتناول دوماً بما تحققه من خير ونصح وإرشاد للبشرية جمعاء.
- عدم وجود دراسة في حدود ما وقفت عليه الباحثة تعنى بالملاحم التاريخية لخطب الرسول في غزواته على وجه التحديد، ومن ثم تعاضمت الحاجة أمام وضع الاستقراء والاستنباط المناسب لهذه الأبعاد التاريخية في ضوء خطب الرسول ﷺ في غزواته.

منهج البحث:

المنهج التحليلي:

حيث سيقوم هذا المنهج بتحليل مجموعة الروايات الصحيحة المتواترة عن خطب الرسول ﷺ في غزواته ومضامينها وأبعادها التاريخية، وما جاء أيضاً عنها في كتب السيرة النبوية والفقه والأصول والتفسير والسياسية الشرعية والتاريخ والأدب، بغية الاستفادة منها بصورة علمية متكاملة.

المنهج الاستنباطي:

والذي سنقوم من خلال باستنباط الأبعاد التاريخية في خطب الرسول ﷺ في غزواته، ومن ثم إعادة صياغتها بصورة فكرية وثقافية تحقق التناغم والتكامل الشامل وفق ما استنبطناه منها.

الدراسات السابقة

وقد أفادة الدراسة بعدد من الدراسات السابقة التي تناولت أمهات المؤمنين ومن أهم تلك الدراسات: رسالة ماجستير بعنوان: حُطَبُ الرُّسُولِ الكَرِيمِ مُحَمَّدٍ ﷺ دراسة توثيقية تحليلية، للباحث مصعب نوري العزاوي، جامعة بغداد، 2004م.

والدراسة تختلف عن الدراسة المقدمة كون الرسالة تركز على توثيق خطب الرسول عليه الصلاة والسلام وتحليلها من الناحية اللغوية، وقد تميزت الدراسة بانها خصت خطب الرسول عليه الصلاة والسلام في غزواته وحللها بالمنهج التاريخي فوضحت الأبعاد التاريخية والسياسية لخطبة عليه الصلاة والسلام.

إجراءات البحث:

1. تصوير المسألة تصويراً واضحاً قبل استخراج مواطن ورودها في الكتاب محل البحث؛ حتى يتحقق الهدف من بحثها، ثم بيان تكييفها المعنوي، كل في موضعه.
 2. تخريج الآيات يكون بذكر اسم السورة ورقم الآية في متن البحث.
 3. جمع الأحاديث النبوية التي اشتملت على الأبعاد التاريخية لخطب الرسول ﷺ في غزواته وتخريجها وذكر موضع الاستشهاد فيها.
 4. عزو نصوص العلماء وآراءهم لكتبهم مباشرة، ولا يلجأ للعزو بالواسطة إلا عند تعذر الوصول إلى الأصل؛ وفي هذه الحالة يذكر أقدم كتاب ذكر به النص، أو الرأي.
 5. يكون ترتيب المراجع في آخر البحث بحسب الترتيب الأبجدي لأسماء المؤلفين.
 6. الاعتناء بصحة المكتوب، وسلامته من الناحية اللغوية والإملائية، والنحوية ومراعاة حسن تناسق الكلام وسلاسة الأسلوب.
 7. العناية بعلامات الترقيم ووضعها في أماكنها الصحيحة.
- المعنى اللغوي لكل من الأبعاد التاريخية و الخطبة وأنواعها:
أولاً: المعنى اللغوي لكلمة أبعاد تاريخية:

وأبعاد الشيء:

هو مداه واتساعه وأعماقه وما يتعلق به.
وبالتالي يكون المعنى اللغوي لكلمة (أبعاد تاريخية) لخطب الرسول ﷺ الواردة في هذا البحث: هو مدى ومظاهر وأهمية خطب الرسول التاريخية وما يتعلق بها في غزواته المرتبطة بالأزمنة والتواريخ التي حدثت بها ودلالاتها وأعماق هذه الخطب وجوانبها المختلفة التي انعكست على مسيرة الدعوة الإسلامية منذ بعثته ﷺ وحتى وفاته.

ثانياً: المعنى اللغوي للخطبة:

الخطبة: مصدر الخطيب، يقال: خطب الخاطب على المنبر، يخطب، خطابة بالفتح، وخطبة، بالضم، قاله الليث، ونقله عنه أبو منصور، وقال الجوهري: خطبت على المنبر خطبة، بالضم، وخطبت المرأة خطبة، بالكسر، واختطب فيهما، والخطبة عند العرب: الكلام المنثور المسجع ونحوه، وإليه ذهب أبو إسحاق، وفي التهذيب: الخطبة: مثل الرسالة التي لها أول وآخر. (1)

الخطبة نمط من أنماط النثر الفني يعتمد مشافهة الجمهور، ويهدف إلى الإقناع والاستمالة والتأثير في نفوس السامعين، وقد اتخذها الأنبياء والمصلحون أداةً مهمةً في نشر تعاليمهم، وشدّ الناس إليهم⁽²⁾. وبالنظر إلى تعريف الخطبة في السياق الاصطلاحي فلقد عرفها الجرجاني (ت: 816هـ) بأنها: «هو قياس مركب من مقدمات مقبولة، أو مظنونة، من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم، كما يفعله الخطباء والوعاظ»⁽³⁾. وعرفت أيضاً الخطبة بأنها: فن من فنون النثر اختص بمخاطبة الجمهور يعتمد على الإقناع والاستمالة، أو هي كلام بليغ يُلقى في جمع من الناس لإقناعهم بما فيه الخير في دنياهم وآخرتهم⁽⁴⁾.

كما تعرف الخطبة في الاصطلاح بأنها: القوة الصانعة للأقوال المقنعة. وعلى هذه البابة رسمها أرسطو، فقال: هي قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من الأشياء المفردة. ومعنى هذا: أن الخطابة قوة يطبق صاحبها إقناع المخاطبين في كل شيء يدعي أنه غرض صحيح، والإقناع تقوية الظن، وهو ما تعتمد عليه صناعة الخطابة. وإنما وصف الإقناع بالإمكان، فقال: «تتكلف الإقناع الممكن»؛ لأن شأن هذه الصناعة إعداد النفوس لعمل الإقناع، وإن لم تبلغ غايتها القصوى⁽⁵⁾. وعليه فالخطابة علم له قواعد وأصول وأساليب وضوابط، لا بد من تعلمها ثم التمرس عليها والتعود، يؤازر ذلك المقدرة النفسية والموهبة الإلهية. والخطيب البارع المفوه هو الذي يجمع الله له بين العلم والموهبة، وقد أطنب الأدباء في إبراز جانب الموهبة والملكة في الخطيب وعدوه من أسس التمكن الخطابي، وذكروا العناصر الخطابية التي ينبغي للخطيب الوقوف عليها والتدريب عليها مثل قولهم: رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدربة، وجناحها رواية الكلام، وحليها الإعراب، وبهاؤها تخير الألفاظ⁽⁶⁾.

نشأة الخطابة وتطورها التاريخي:

عرفت الشعوب الإنسانية الخطابة منذ القدم كونها أداة الدعوة إلى الرأي والعقيدة في شتى نواحي الحياة والمجتمع، فعرفها المصريين والأشوريين ثم اليونان، وكانوا من أكثر الشعوب عناية بالخطابة فعرفت مجموعة منهم مسمى السفسطائيون عرفوا كخطباء يجولون في اليونان ينشرون أفكارهم فتوجب التصدي لهم فقام فلاسفة اليونان على راسهم أرسطو الذي وضع قواعد وضوابط هذا الفن التي ضمنها كتاب الخطابة الذي بات مصدر لهذا الفن يرجع إليه الخطباء والمؤلفون في الخطابة إليه. وقد نشطت الخطابة لدى العرب بالجاهلية لارتباطها بواقع حياتهم القبلي القائم على المفاخرة القبلية والتعصب القبلي مما فرض عليهم التصدي للنزاعات والخصومات فكانت سلاحهم الذي يصاحبهم في حربهم وسلمهم ووجدوا في الخطابة عوناً لهم على الحز والتحذير والترغيب والتنفير أو المفاخرة أو المناظرة⁽⁷⁾. ولقد كان للخطابة بطبيعة الحال نصيبها الكبير في التطور العام الذي أصاب النثر العربي، ومن المقرر أن الخطابة تزدهر إبان الأحداث، كما تزدهر في ظل النظم السياسية الديمقراطية، وقد توافر لها في عصر صدر الإسلام من دواعي التطور ما لم يتوافر لها مثله من العصر الجاهلي، فاتجهت حينئذ نحو الرقي وبلغت حدّاً كبيراً من الازدهار، فكانت الخطابة خير ما يستعان به في نشر الدين الجديد وفي معارضته، وهي الوسيلة المثلى للاتصال بالجماعات واستمالتها⁽⁸⁾. وتعددت الأغراض تبعاً لتعدد الاحتياج حتى أصبح الخطيب أفضل منزلة من الشاعر وفي ذلك

ذكر الجاحظ في كتابه: «كان الشاعر أرفع قدراً من الخطيب وهم إليه احوج لردة مآثرهم، وتذكيرهم بأيامهم فلما كثر الشعراء وكثر الشعر صار الخطيب أعظم قدراً من الشاعر».⁽⁹⁾

ثم جاء رسول الله ﷺ فعمل على تخليص العرب من العادات الجاهلية وابداهم عنها بتشريعات وسلوكيات إسلامية عالية تزي النّفوس وتطهر القلوب، محدثاً انقلاب شمل جميع مناحي حياة العرب في الجاهلية من دينية واجتماعية وسياسية، فكان للخطابة دورها مع وجود سيد الخطباء وإمامهم محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم الذي جعل من الخطابة أداة هامة في نشر مبادئ الإسلام وتعاليمه، فكانت حُطْبُهُ مؤثرة ذات دور فعال في تأييد أهدافه وبلوغ مقاصده ومراميه، وكان لها الحظ الأوفر من أمر الدين لأن الخطبة شرط الصلاة التي هي عماد الدين في صلاة الأعياد و الجُمع و الجماعات، وتشتمل على ذكر المواعظ.⁽¹⁰⁾ وكان للقران الكريم أثره الواضح على الخطابة بما كان يتوخاه الخطباء من تقليد أسلوب القران الكريم، واقتباس الآيات القرآنية التي وشحوامصدر الخطيب بها خطبهم، حتى تكاد الخطبة التي تخلوا من آيات القران تعرف بالشوهاء⁽¹¹⁾، ويتفق الباحثون على أن الخطابة في صدر الإسلام حققت رقي وازدهار عن العصر الجاهلي اذ زادها بلاغة وحكمة وأصبح استخدامها يخدم أمور سامية أنشئت لها أنواع جديدة، فبعد أن كانت الخطب في الجاهلية تستخدم في المنافرات والمفاخرات، أصبح هناك خطب تفيقه وخطب وعظ وخطب إرشاد.

السّهات والأنّهات العامّة لخطب الرسول ﷺ

لقد كان عليه الصلاة والسلام أفصح قريش قاطبة اجتمعت فيه فصاحة اللفظ وجودة التركيب وحسن الالقاء، فبلغ من البلاغة ذروتها، ووصل من الروعة قمتها، تجد في طيات حديثه جوامع الكلم وروائع الحكم هو القول الفصل، لكلامه جلال لا تجده في سواه، تحس منه بشعاع النبوة، حتى قال له الصديق رضي الله عنه وأرضاه لقد طفت في العرب، وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك، فمن أدبك فقال عليه الصلاة والسلام أدبني ربي فأحسن تأديبي.⁽¹²⁾ ووصف الجاحظ كلامه عليه الصلاة والسلام بأنه الكلام الذي قل عدده وكثر معانيه، نزه عن التكلف وجانب أصحاب التشدق وهجر الغريب الوحشي وعاب التشديق، فلم ينطق إلا عن ميراث الحكمة ولم يتكلم الا بكلام حف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق، لم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، ولا يلتبس إسكات الخصم الا بما يعرفه الخصم ولا يحتج إلا بالصدق.⁽¹³⁾ ولاشك أن اهتمام الرسول الأعظم بالخطابة وممارسته لها يعود إلى أهميتها البالغة ومكانتها التي عرفت لها في المجتمعات البشرية، منذ أقدم العصور، وذلك لإدراكه عليه الصلاة والسلام بأن الخطبة تعتبر من أقوى وسائل الإعلام والدعاية والاتصال بالناس للتأثير في مشاعرهم وإقناعهم بالأفكار الجديدة والعقائد الجديدة. وبقي شأنها كذلك في العصر الجاهلي وفي صدر الإسلام وفي الخلافة الأموية وما تلاها من حكومات، بل بقي شأنها كذلك في كل ثورة على وجه البسيطة وذلك في العصور القديمة والوسطى والحديثة⁽¹⁴⁾ والمتأمل في التطور التاريخي الذي واكب خطب الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، يجد أنها كانت ترسم لسمات المجتمع المسلم وخصائصه التي تميزه عن غيره من المجتمعات، بوضع القواعد والأصول التي يقوم عليها كيانه سواء في تنظيم العلاقات المختلفة بين أفرادها أو بين الأفراد ومن يتولون إدارة شؤونهم، أو بين المجتمع الإسلامي والمجتمعات المعاصرة له.⁽¹⁵⁾ والمتأمل في هذه السمات يجدها سمات حضارية

واضحة قد بلغت القمة السامقة في إقرار الحقوق والواجبات وتحقيق التعاون والانسجام وفي بذل أقصى الجهد مع تحري الإخلاص التام في تأدية الواجبات من غير رقيب أو حسيب سوى رقابة الله تعالى على الضمائر والقلوب واستشعار أفراد المجتمع عظمة الله واستحضار قدرته وقوته عليهم في جميع الأحوال والتصرفات.⁽¹⁶⁾ وبالنظر إلى هدي الرسول ﷺ في خطبه نجده عليه الصلاة والسلام لا يخطب خطبة إلا افتتحها بحمد الله، وكان يخطب قائماً، وكان إذا صعد المنبر أقبل بوجهه على الناس، ثم قال: السلام عليكم، ثم يجلس، وبعد أذان بلال، يقوم ويفتتح خطبته بالحمد والثناء على الله سبحانه والتشهد، ثم يذكر الناس بنعم الله عليهم، وكان يختم خطبته بالاستغفار، وكان كثيراً يخطب بالقرآن.⁽¹⁷⁾ ويصف جابر رضي الله عنه حال النبي ﷺ أثناء الخطبة قائلاً: «عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ أَحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «صَبَحَكُمْ وَمَسَاكُمْ»، وَيَقُولُ: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ»، وَيَقْرُنُ بَيْنَ إصْبَعَيْهِ السَّبَابِيَّةِ، وَالْوُسْطَى، وَيَقُولُ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».⁽¹⁸⁾

وقد خطب الرسول محمد ﷺ على الأرض، وعلى المنبر، وعلى الناقفة وكان منبره ثلاث درجات. وقبل اتخاذ المنبر، كان يخطب إلى جذع يستند إليه ولم يكن المنبر في وسط المسجد، وإنما بجانبه الغربي قريباً من الحائط بينه وبينها قدر ممر الشخص.⁽¹⁹⁾

كما كان من كمال هديه ﷺ أثناء الخطبة، أنه ربما قطع خطبته لحاجة، كإرشاد لأمر معين، أو توجيه أو نصح لمخالف، فقطع خطبته ذات مرة تنبيهاً على ضرورة صلاة ركعتين فعن جابر رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، إذ جاء رجل فقال له النبي ﷺ: (أصليت يا فلان؟) قال: لا، قال: (قم فاركع ركعتين)⁽²⁰⁾ وربما قطع خطبته رعاية لشعور الأطفال كما حصل له ﷺ حينما نزل من المنبر ليحمل الحسن والحسين.⁽²¹⁾ وقد كان للرسول عليه الصلاة في بداية خطبه مقدمة كثيرة الورد في معظم خطبه عليه أفضل الصلاة و أتم التسليم، ذكرها الزهري عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ، مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَسَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى، نَسَأَلُ اللَّهَ رَبَّنَا أَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ يُطِيعُهُ وَيُطِيعُ رَسُولَهُ، وَيَتَّبِعْ رِضْوَانَهُ، وَيَجْتَنِبْ سَخَطَهُ، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِهِ وَوَلَهُ».⁽²²⁾

كذلك ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان يقول إذا خطب: «كُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ، لَا بُعْدَ لِمَا هُوَ آتٍ، لَا يُعْجَلُ اللَّهُ لِعَجَلَةٍ أَحَدٍ وَلَا يَخْفُ لَأَمْرِ النَّاسِ، مَا شَاءَ اللَّهُ لَا مَا شَاءَ النَّاسُ، يُرِيدُ اللَّهُ أَمْرًا وَيُرِيدُ النَّاسُ أَمْرًا، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَلَوْ كَرِهَ النَّاسُ، وَلَا مُبْعَدَ لِمَا قَرَّبَ اللَّهُ وَلَا مُقَرَّبَ لِمَا بَعَدَ اللَّهُ، لَا يَكُونُ شَيْءٌ إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ».⁽²³⁾

يظهر لنا إذاً تربية الرسول عليه الصلاة والسلام لأمته بالبده بالحمد والاستعانة والاستغفار، وذلك لاستشعار فضل الله والتذكير بشكر نعمه تعالى عليهم الذي أخرجهم من الضلال إلى الهدى ومن الجهل للعلم، والحق فبالحمد تدوم النعم، وبالاستغفار تمحى الذنوب وتنقى القلوب، وفي هذا أسلوب لتجديد العلاقة بالله تعالى واستجداء رحمته ومغفرته، ثم يبدأ عليه الصلاة والسلام بما عقد له خطبته عليه أفضل الصلاة والسلام.

كما كان من هديه عليه الصلاة والسلام في خطبه الشريفة أن يتعرض دائماً للأخوة والمسواة بين المسلمين، فلقد أرسى الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام في خطبه أصول الأخوة بين المسلمين بإلغاء الفوارق بينهم واعتبارهم جسداً واحداً يجب أن يقوم كيانهم ويؤسس بنيانهم على الود، والصفاء، والاحترام، والتقدير.⁽²⁴⁾

«أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لأمرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم»⁽²⁵⁾ ويعرض الرسول عليه الصلاة والسلام هذا التوجيه النبوي الكريم المستمد من أحكام القرآن في أخوة المؤمنين بأسلوب آخر يمهّد له بالحديث عن حب الله عز وجل. ويقرر القاعدة العظيمة في مكانة المتحابين في الله وأن حبهم يجب أن يكون من حب الله عز وجل وحب رسوله وشرعه.⁽²⁶⁾ ويجدر بنا في هذا المقام الذي نستعرض فيه هدي الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام في خطبه أن نسوق ما ذكره ابن قيم الجوزية في وصفه البديع لهذا الهدي النبي إذ يقول رحمه الله: «وكذلك كانت خطبته ﷺ، إنما هي تقرير لأصول الإيمان، وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته، وما أعد لأعدائه وأهل معصيته، فيملأ القلوب من خطبته إيماناً وتوحيداً، ومعرفة بالله وأيامه، لا كخطب غيره التي إنما تفيد أموراً مشتركة بين الخلائق، وهي النوح على الحياة، والتخويف بالموت، فإن هذا أمر لا يحصل في القلب إيماناً بالله، ولا توحيداً له، ولا معرفة خاصة به، ولا تذكراً بأيامه، ولا بعثاً للنفوس على محبته والشوق إلى لقائه، فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة غير أنهم يموتون، وتقسّم أموالهم، ويبيي التراب أجسامهم. ومن تأمل خطب النبي ﷺ وخطب أصحابه، وجدها كفيلاً ببيان الهدى والتوحيد، وذكر صفات الرب جل جلاله، وأصول الإيمان الكلية، والدعوة إلى الله، وذكر آلائه تعالى التي تحببه إلى خلقه، وأيامه التي تخوفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره الذي يحبهم إليه، فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه إلى خلقه، ويأمرون من طاعته وشكره، وذكره ما يحبهم إليه، فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم، ثم طال العهد وخفينور النبوة، وصارت الشرائع والأوامر رسوماً تقام من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها، فأعطوها صورها وزينوها بما زينوها به، فجعلوا الرسوم والأوضاع سنناً لا ينبغي الإخلال بها وأخلوا بالمقاصد التي لا ينبغي الإخلال بها، فرصعوا الخطب بالتسجيع والفقر، وعلم البديع، فنقص بل عدم حظ القلوب منها، وفات المقصود بها».⁽²⁷⁾ وبناء على هذه السمات العامة وهذا الهدي النبوي الشريف لخطب الرسول عليه الصلاة والسلام، يمكن أن نقسم خطبه الشريفة إلى الأنواع التالية:

1. **الخطب الدينية:** وهي أول ما بدأ به عليه الصلاة والسلام ذلك لأنها تناولت العقيدة والدعوة إلى الإسلام، والتشريع بما فيه من تفصيل لحدود الله سبحانه وتعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوعظ والإرشاد، ومن أمثلتها خطبة الرسول عليه الصلاة والسلام همكة بعد نزول قوله تعالى «فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ» [الحجر: 94]، وخطبته في حجة الوداع.
2. **الخطب السياسية:** وهي الخطب التي ألقاها في مناسبات سياسية مثل خطبة بيعة العقبة الثانية فهي ذات طابع سياسي كتولي خلافة أو مبايعة وغيرها.
3. **خطب الجهاد:** وهي كذلك من أقدم الخطب إذ أنها تتحدث عن الغزوات وتحديد الخطوط العامة للمعركة كخطبة يوم بدر وأحد وحنين وغيرها فكان عليه الصلاة والسلام حين يصف

الصفوف ويهيئ الجيوش يشد سواعدهم بكلماته ويحيي قلوبهم وهم مقبلون على الجهاد في سبيل الله.

4. **الخطب الاجتماعية:** وترتبط بما يقع امامه عليه الصلاة والسلام من مواقف مثل (مثال دعوته الناس للصدقة والتكافل الاجتماعي بإطعام الفقراء والمساكين) وهي التي يعالج فيها عليه الصلاة والسلام قضايا المجتمع فتعالج بعض الأسباب التي أدت الى ظهور بعض المشكلات وكذلك الدعوة للأعمال الخيرية والحث عليها وغيرها من أمور تصب في صلاح المجتمع وتكاتف ابناؤه فيما ب

الأبعاد التاريخية لخطب الرسول في غزواته والعبر المستنبطة منها: توطئة:

حياة رسول الله ﷺ مليئة بالجهاد والكفاح منذ اللحظة الأولى من البعثة المحمدية يعلم أصحابه أصول التوحيد والعبادات، ولم يقصر في خطب غزواته على النصح والإرشاد والتوجيه، بل كانت خطبه ﷺ في غزواته كلها خطب عصماء جمعت أصول الدين وأرست القيم والمبادئ التي يأمر بها الإسلام لترسخ في نفوس المسلمين، ويعملوا على تحقيقها على الأرض وينشروها بين الناس ليخرجوهم من الظلمات إلى النور ويحرروهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد حتى ينعموا بلذة الحياة، ويفوزوا برضا الله.⁽²⁸⁾ وفيما يلي عرض لأهم الأبعاد التاريخية الواردة في خطبه عليه السلام والصلاة في غزواته مستخلصين منها أهم الدروس والعبر المستنبطة منها:

أولاً: خطبة غزوة بدر والدروس والعبر المستنبطة منها:

استحث الرسول عليه الصلاة والسلام المسلمين ليوم بدر بعد أن علم بخروج قريش لقتاله عليه الصلاة والسلام أثناء خروجه لاعتراض عير أبي سفيان المتجه للشام وكان معه من المسلمين ثلاثمائة وثلاث عشر فاستشارهم في أمرهم و أجمعوا على الخروج مع الرسول ﷺ لقاتل قريش والتقى الجمعان في بدر وبعد أن صف عليه الصلاة والسلام صفوف المسلمين ووجههم بتعليمات حربية بقوله عليه الصلاة والسلام م لما عدل الصفوف قال لهم: إن دنا القوم منكم فانضحوهم عنكم بالنبل، واستبقوا نبلكم» أي لا ترموهم على بعد، فإن الرمي مع البعد غالباً يخطئ فيضيع النبل بلا فائدة، وقال لهم «لا تسلوا السيوف حتى يغشوكم».⁽²⁹⁾ ثم خطب ﷺ فأثنى وحمد الله عزوجل، ثم قال: «أما بعد: فإني أحثكم على ما حثكم الله عز وجل عليه، وأنهاكم عما نهاكم الله عز وجل عنه، فإن الله عز وجل عظيم شأنه، يأمر بالحق ويحب الصدق، ويعطي على الخير أهله، على منازلهم عنده، به يذكرون، وبه يتفاضلون، وإنكم قد أصبحتم بمنزل من منازل الحق، لا يقبل الله فيه من أحد إلا ما ابتغى به وجهه. وإن الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله عز وجل به الهم وينجي به من الغم، وتدركون به النجاة في الآخرة، فيكم نبي الله يحذرکم ويأمرکم، فاستحيوا اليوم أن يطلع الله عز وجل على شيء من أمركم يمقتكم عليه، فإن الله عز وجل يقول: {لَمَقْتُ اللّٰهَ أَكْبَرُ مِنْ مَّقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ} [غافر: 10] أنظروا إلى الذي أمركم به من كتابه، وأراكم من آياته، وأعزكم بعد الذلة، فاستمسكوا به يرضى به ربكم عنكم، وأبلوا ربكم في هذه المواطن أمراً، تستوجبوا الذي وعدكم به من رحمته ومغفرته، فإن وعده حق، وقوله صدق، وعقابه شديد. وإنما أنا وأنتم بالله الحي القيوم، إليه ألجأنا ظهورنا، وبه اعتصمنا وعليه توكلنا، وإليه المصير، يغفر الله لي وللمسلمين».⁽³⁰⁾

كانت غزوة بدر أولى غزوات المصطفى عليه الصلاة والسلام فكانت الدعوة الى الثبات ولقاء العدو والصبر من أبرز ما أشار اليه عليه الصلاة والسلام في خطبته ثم نبه إلى أن الجهاد مشرع من الله سبحانه وتعالى وأنه عليه الصلاة والسلام لا يدعوا إلا لما أمر به المولى عز وجل: (فإني أحثكم على ما حثكم الله عز وجل عليه، وأنهاكم عما نهاكم الله عز وجل عنه، فإن الله عز وجل عظيم شأنه، يأمر بالحق ويحب الصدق، ويعطي على الخير أهله). وفي ذلك تأكيد على ان كل مايقوم به عليه الصلاة و السلام في الدعوة الى الجهاد هو الهي التوجيه استوجب منه طاعة الله عز وجل واتباع ما أمر به فالعز لن يحصل للمسلمين ما لم يتقوا الله ويخلصوا في نواياهم ويمثلوا لأوامره بطاعته والصدق معه عز وجل، فقد وجه عليه الصلاة والسلام في خطبته المجاهدين إلى إطلاع الله عز وجل على أعمال عباده، وحذرهم من أن يرى الله منهم ما يمقته، وتحذير من مقت الله لهم أن يرى منهم حب للدنيا والمغتم وأنها من أسباب الهزيمة، وحثهم على الأخذ بأسباب النجاة ليأخذوا بها ويلتزموا بها، ثم ختم بضرورة التوكل على الله والاستغفار له وللمسلمين. والملاحظ في خطبته عليه الصلاة والسلام تخصيص خطبته على شحن همم المسلمين للجهاد وترغيبهم في الفوز بالأجر مقابل الثبات والتزهيب من التولي من الزحف والفرار⁽³¹⁾، فقد اختار عليه الصلاة والسلام التوقيت والموقف فكانت خطبة بدر ذات تأثير معنوي عظيم في نفوس المسلمين تتماشى مع كونها التجربة الأولى لهم الجهاد فزاه عليه الصلاة و السلام يرضع عند دخولهم ساحة الجهاد فكان النصر حليف للمسلمين رغم قلة عددهم وشدة عدوهم. ولعل من أجل الدروس والعبر المستنبطة من خطبة بدر هي التربية المحمدية سواء أكانت في الترتيب العسكري والتنظيم الميداني الذي وضعه بارض القتال من صف الصفوف و التلاحم و التأزر وغيرها، أو في صورة العبادة و تلقين عبادة التوحيد، و إرجاع الأمر إلى الله مع حسن العمل و الإيمان بالمساواة في عمل الدنيا والآخرة، و إثارة الشهادة في سبيل العقيدة على الحياة، وما يتعلق بها من أحوال الأهل والعشيرة وكذلك انطباع نفوسهم بطاعة الرسول وأولي الأمر منهم⁽³²⁾.

هذه التوجيهات المحمدية التي تضمنتها ثانيا هذه الخطبة، كانت مبنية على البعد السياسي للفترة التي وقعت فيها المعركة والتي رسمتها العوامل المؤثرة من قلة عدد المسلمين و كونها أولى غزوة المسلمين مع الرسول عليه الصلاة و السلام، فكانت الخطبة بمثابة الحافز للمسلمين تذكروهم بالأجر و الصبر و الالتجاء للخالق البارئ، فأحدثت فيهم قوة جديدة لم يكن العرب يعرفونها من قبل تلك هي قوة النظام التي رجحت بها كتيبة المؤمنين على جيش المشركين، والثانية: القوة المعنوية التي ملأ بها الإسلام نفوسهم، فإنهم دون مشركي العربي كانوا يؤمنون بالبعث، فهم لذلك لا يرون في الموت فناء مطلقاً، بل يرون أن ما وراءه هي الحياة الابقي من هذه الحياة، إذ تأوي فيها أرواحهم إلى قناديل من نور وتسبح حول العرش، وتحيا في حواصل طير خضر تأكل من ثمار الجنة، وتشرب من رحيقها المختوم⁽³³⁾.

ثانياً: خطبة غزوة أحد:

كانت خطبته عليه الصلاة والسلام في غزوة أُحُد ثاني خطب غزواته عليه الصلاة والسلام فجاءت حيثياتها مشابهة لما كانت عليه خطبة بدر الكبرى من حيث التوقيت فجعل جبل أحد خلف ظهره، ونهى أن يقاتل أحد حتى يأمره، ثم قسم الجيش لثلاث كتائب وسوى صفوف المسلمين للقتال ثم خطب فيهم قائلاً: «يا أيها الناس، أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه من العمل بطاعته، والتناهي عن محارمه، ثم إنكم

اليوم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذي عليه ثم وطن نفسه له على الصبر واليقين والجد والنشاط، فإن جهاد العدو شديد كرية، قليل من يصبر عليه إلا من عزم الله رشده، فإن الله مع من أطاعه وإن الشيطان مع من عصاه، فافتتحوا أعمالكم بالصبر على الجهاد، والتمسوا بذلك ما وعدكم الله، وعليكم بالذي أمركم بإني حريص على رشدكم، فإن الاختلاف والتنازع والتشبط من أمر العجز والضعف مما لا يحب الله ولا يعطي عليه النصر ولا الظفر»⁽³⁴⁾ وهنا يظهر يتجلى البعد السياسي كمؤثر اول في هذه الخطبة ناتجاً عن انسحاب عبدالله بن ابي بثلث الجيش عائداً الى المدينة مخالفاً رسول الله عليه الصلاة والسلام في خروجه للغزوة خارج المدينة، لذا أتت الخطبة مؤكدة على عدم التأثر بالانسحاب الذي وقع و على ضرورة طاعة رسول الله عليه الصلاة والسلام فيما يأمر به ويوجهه اليه .

لذا بدأ عليه الصلاة والسلام خطبته بالوصية بطاعة الله سبحانه وتعالى والتناهي عن محارمه، ثم أشار إلى منزلة الجهاد التي أصبحوا فيها، مشدداً على أهميه الثبوت بساحة القتال، وأن أجر الثبات والصبر عليه عظيمه، وهي لا تتأتا إلا بطاعة الله سبحانه وتعالى، فالله سبحانه وتعالى مع من أطاعه، والشيطان مع من عصى الله وخرج عن طاعته، وكان هناك تنبيه للمسلمين عن نتائج الانهزام من ساحة القتال وعدم إطاعة أوامر الله و أوامر نبيه عليه الصلاة والسلام، فكان التذكير في خطبة أحد مع انسحاب عبدالله بن أبي بثلث الجيش تغليظ على ميثاق المسلمين مع الله بطاعته وامثال أوامره وتأكيد على مكانة وفضل الجهاد الذي هم في ساحته فمن توانا عن الجهاد و عصى الله فهو متبع للشيطان. وفي الخطبة توجيه رسول الله ﷺ أصحابه إلى عوامل النصر، والغلبة، وأساسها الاول إعداد العدة، والصبر، واللجوء إلى الله بحسن الطاعة والانقياد، وبأداء الواجبات، وصدق التوكل، وإخلاص التقوى، وتقدير محارم الله تعالى، والإيمان التام بقدره سبحانه وتعالى.⁽³⁵⁾

خطبة الرسول ﷺ في غزوة الأحزاب (الخدق) سنة 5هـ:

حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «والذي بعثني بالحق إنهم لحزب الشياطين يحدثونهم فيكذبونهم، ويمنونهم فيغرونهم، ويعدونهم فيخلفونهم، والله ما حدثتكم فكذبتكم، ولا منيتكم فغرتكم، ولا وعدتكم فأخلفتكم، اللهم اضرب وجوههم، وأكلل سلاحهم، ولا تبارك لهم في مقامهم، واللهم مزقهم في الأرض تمزيق الرياح الجراد، والذي بعثني بالحق، لئن أمسيتم قليلا لتكثرن، وإن كنتم أذلة لتعزن، ولئن كنتم ضعفاء لتشرفن، حتى تكونوا نجوماً يقتدى بواحدكم؛ يقال: قال فلان، وقال فلان».⁽³⁶⁾

التباعد التاريخية لخطبته ﷺ:

وغزوة الأحزاب هي معركة خاضها جيش المسلمين بقيادة رسول الله ﷺ في عام 5هـ داخل المدينة المنورة وسميت بهذا الاسم بسبب حفر المسلمين لخدق حول المدينة من جهة قدوم جيش العدو، كما سميت أيضاً بغزوة الأحزاب لتجمع أعداد كبيرة من مشركي الجزيرة العربية واليهود على غزو المسلمين، ومن أهم أسباب الغزوة أنه بعد أن هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة كان المجتمع هناك يحتوي على فئات أخرى غير المسلمين وعلى رأس هذه الفئات اليهود، وبين يهود المدينة آنذاك قوم يقال لهم بنى النضير. وعندما دخل عليه الصلاة والسلام المدينة مهاجراً من مكة حرص على دمج تلك الفئات على قلب واحد بالعهود و المواثيق التي ارسى فيها حقوق تلك الفئات ، غير أن يهود بنى النضير لم يحترموا ذلك وهموا

بقتل رسول الله ﷺ، فحاصروهم المسلمون بقيادة الرسول إلى أن استسلموا ليخرجوا بعد ذلك من ديارهم. بعد هذه الواقعة أراد اليهود من بني النضير أن ينتقموا لأنفسهم من المسلمين، فحرضوا عليهم عرب الجزيرة العربية، فقبل العرب بالهجوم على المدينة، واجتمعت لهذه الغزوة قريش ومن حالفها، والقبائل الغطفانية ومن حالفهم، ثم انضم إليهم فيما بعد يهود بني قريضة في المدينة الذين نقضوا العهد هم أيضاً لما نقضه الآخرون من يهود المدينة.⁽³⁷⁾ وتعتبر غزوة الخندق من الغزوات الاستراتيجية لتأثيرها على التاريخ الإسلامي لإجتماع أكبر قوة من كفار شبه الجزيرة العربية لحرب الإسلام والمسلمين. وعندما سمع رسول الله ﷺ والمسلمون بقدوم جيش جرار إليهم مكون من تحالف كبير من أهم قبائل الجزيرة العربية أشار عليه الصحابي الجليل سليمان الفارسي بحفر خندق حول المدينة يمنع جيش العدو من الوصول إلى المسلمين، فالمدينة محمية طبيعياً إلا من جهة ديار بني قريضة ومن جهة حفر الخندق. وعندما وصل الكفار إلى المدينة فوجئوا بالخندق وحاولوا الاقتحام بشتى الوسائل غير أن محاولاتهم كلها باءت بالفشل، واستمر الحصار لأكثر من عشرين يوماً إلى أن انتهت المعركة بانسحاب جيش الكفار ورجوعهم خائبين مدحورين بعد أن بث الله تعالى بينهم الرعب وبعد أن فرقهم وشتت جمعهم فكان نصراً من الله مؤزراً.⁽³⁸⁾ ومن خلال استقراء الخطبة نلاحظ تأكيده عليه الصلاة والسلام على أمور ناتجة عن الوضع السياسي للغزوة من تحالف العدو وكثرة عدده فخطب عليه الصلاة والسلام في جيشة مبين لهم ان هذا الحلف بني على الكذب والنفاق وقطع الوعود الكاذبة وسوف يهزم لانه حزب الشيطان، وهو فعلاً كما ذكر عليه الصلاة والسلام فانهمام ذلك الحزب نتيجة الكذب والنفاق عندما غدروا ببعضهم فاقفلوا منسحبين خوف غدر بعضهم بعض، ايضاً قارن عليه الصلاة والسلام بين حزب الكفار وحزب المسلمين مشير لكذب حزب الشيطان (الكفار) وصدقه عليه الصلاة والسلام للمسلمين فما سبق ان كذب عليهم عليه الصلاة والسلام، وما وعدهم الا الحق ثم دعا عليه الصلاة والسلام عليهم بالرياح التي تفرقهم وهذا ما كان فعلاً في نهاية الغزوة عندما هزم المشركين لأرسال الله سبحانه وتعالى ريح شديدة على المشركين مزقتهم.

كذلك أتت خطبته عليه الصلاة والسلام شاحنة لقلوب المسلمين بالوعود التي وعدها لهم رسول الله عليه الصلاة والسلام بالعزة والكثرة وهذا ما كان فعلاً من شان المسلمين فبعد غزوة الأحزاب رفع شان المسلمين في شبه الجزيرة العربية وقال عليه الصلاة والسلام الان نغزوهم ولا يغزونا ونحن نسير اليهم، وذلك لتبدل القوة بين المسلمين والمشركين فالان المسلمين كثره وقوة عظمى في شبه الجزيرة العربية. مما ميز خطبة الخندق كذلك انها أتت معلنة ومبينة لوعوده عليه الصلاة والسلام للمسلمين بانهم سيصبحون اعلام يشار اليها ويقتدى بها، وان المسلمين سيصبحون كثره وهذا استقراء لوضع المسلمين المستقبلي الذي آل اليه المسلمين بعد تلك الغزوة التي امتلته بالبشارات المستقبلية من فتح بلاد الشام وبلاد فارس واليمن، فاكد ﷺ في الخطبة بالفتوحات الإسلامية السابقة الذكر واعداً للمسلمين بالعزة والنصر والكثرة ورفعة الشأن.

ثالثاً: خطبة فتح مكة:

بعد سنوات من العدوان على الدعوة الإسلامية فتح الله عز وتبارك على نبيه محمد ﷺ مكة بعد جهاد طويل، وجهد عظيم من البلاغ والإنذار، وقد دخل نبي الله محمد عليه الصلاة والسلام مكة

مطأطأ رأسه خشوعاً وتواضعاً لله، ثم أخذ يشير للأصنام حول الكعبة قائلاً: «وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا» [الإسراء: 81] فكانت الأصنام تخر على وجهها.

ثم وقف النبي عليه الصلاة والسلام عند باب الكعبة خطيباً في الناس فقال: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدُهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَرَمَ الْأَحْرَابَ وَحْدَهُ، أَلَا كُلُّ مَأْتِرَةٍ أَوْ دَمٍ أَوْ مَالٍ يُدْعَى فَهُوَ مَوْضُوعٌ تَحْتِ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، إِلَّا سِدَانَةَ الْبَيْتِ وَسَقَايَةَ الْحَاجِّ، أَلَا وَقَتِيلَ الْخَطَا شِبْهَ الْعَمْدِ بِالسُّوْطِ وَالْعَصَا فِيهِ الدِّيَةُ مُعْظَمَةٌ، مِائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ، أَرْبَعُونَ مِنْهَا فِي بُطُونِهَا أَوْلَادُهَا، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنْ اللَّهُ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَحْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَطَّمَهَا بِالْأَبَاءِ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ وَآدَمَ مِنْ تُرَابٍ « ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى { [الحجرات: 13]. ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تَرَوْنَ أَيُّ فَاعِلٍ فِيكُمْ؟» قَالُوا: خَيْرًا، أَخْ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخْ كَرِيمٍ. قَالَ: «أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ». ثُمَّ جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَمِفْتَاحُ الْكَعْبَةِ فِي يَدِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اجْمَعْ لَنَا الْحِجَابَةَ مَعَ السَّقَايَةِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيْنَ عُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ؟» فَدُعِيَ لَهُ فَقَالَ: «هَاكَ مِفْتَاحًا يَا عُثْمَانُ، الْيَوْمَ يَوْمٌ بَرٌّ وَوَفَاءٌ».»⁽³⁹⁾ وجاءت رواية أخرى بخطبة ثانية، حيث تشير بعض المراجع إلأن الباعث لها تعدي بنو خزاعة أحلاف الرسول عليه الصلاة والسلام على رجل من هذيل بالقتل لثأر لهم معه في الجاهلية فغضب لذلك رسول الله وقام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إِنَّ اللَّهَ حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ، وَسَلَطَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، وَإِنَّهَا لَمْ تَحِلْ لِأَحَدٍ كَانَتْ قَبْلِي، وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَإِنَّهَا لَنْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، فَلَا يَنْفَرُ صَيْدُهَا، وَلَا يُخْتَلَى شَوْكُهَا، وَلَا تَحِلُّ سَاقِطُهَا إِلَّا لِمُنْشِدٍ، وَمَنْ قَتَلَ لَهُ قَتِيلٌ فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ» فَقَالَ الْعَبَّاسُ: إِلَّا الْإِذْحَرَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّا نَجْعَلُهُ فِي قُبُورِنَا وَبَيْوتِنَا، فَقَالَ: «إِلَّا الْإِذْحَرَ»⁽⁴⁰⁾، فقام أبو شاه، رجلاً من أهل اليمن، فقال: اكتبوا لي يا رسول الله! فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «اكتبوا لأبي شاه». قال الوليد: فقلت للأوزاعي: ما قوله: اكتبوا لي يا رسول الله؟ قال: هذه الخطبة التي سمعها من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وباستقراء المضامين التاريخية العامة لهذه الخطبة نجد أنها تخاطب الناس جميعاً، سواء أكانوا من أهل مكة، أم من الجيش الإسلامي الذي كان صاحب الرسول عليه الصلاة والسلام في دخول مكة منتصراً ظافراً على قوة الشرك، تخاطبهم فتؤكد على ضرورة تحقيق السلام بين القبائل، ونسيان الماضي بما فيه من ضغائن وأحقاد، وحدد لهم طريقة التصالح في جريمة القتل الخطأ، ودعا إلى إقرار مبدأ المساواة بين الناس ولاسيما وأن القرآن قد ألقى الفوارق الاجتماعية ولم يعد الفخر والتباهي إلا بهدى تقوى المسلم، والتزامه بما أمر الله تعالى، ثم أصدر الرسول العفو العام على جميع من حاربوا وتآمروا ضد المسلمين.⁽⁴²⁾

وهنا نجد ان الخطبة كانت بعد دخول مكة المكرمة وكانت موجهة لأهل مكة عامة إذ لم يقع القتال بين الطرفين و لم تصف الصفوف كما في بدر و احد بل كان دخول المسلمين دخول آمن بسلام و معلناً للسلام من خلال تامين الرسول عليه الصلاة و السلام لأهلها ، كانت مكة فتح معلن لكل من في الجزيرة العربية بان المسلمين الآن قوة سياسية عظمى قد آلت اليها مكة و أهلها فهي بداية جديدة إعادة رسم القوى على خارطة شبه الجزيرة العربية .

لذا كانت خطبة فتح مكة موضحة لحرمانية البلد الحرام موجهة لأهلها و لمن كان معه من المسلمين لحفظ حرمانية ذلك البيت و ذاك البلد فحطم الاصنام و رفع الاذان بمكة المكرمة بعد خطبته عليه الصلاة

و السلام في ذاك اليوم . وبالنظر إلى الدروس والعبر المستنبطة من هذه الخطبة النبوية الشريفة نجد أن أعظم ما تميزت به هذه الخطبة هو البداية التوحيدية التي بدأ بها النبي ﷺ بيانه، وذلك في صدحه بالكلمة العظيمة «لا إله إلا الله وحده لا شريك له» في ذلك المجتمع المشرك الذي طالما ما عادى تلك الكلمة العظيمة وحاربها، فجاءت هذه البداية القوية لتذكر أهل مكة وتدعوهم إلى عبادة الله وحده، فالألوهية لله وحده، وإليه تصرف جميع أنواع العبادة، فلا مكان لوثن أو صنم، ولا محل لشريك معه سبحانه وتعالى، ولا يعبد سواء جل في علاه.⁽⁴³⁾

فضلاً على إقرار البيان النبوي الكريم في هذه الخطبة بمبدأ المساواة بين الناس، وأن أساس التفاضل بين الخلق لا يقوم على مبادئ الجاهلة التي كانت تفاخر بالآباء والعشيرة والقبيلة، بل أساس التفاضل بين الناس هو العمل الصالح والتقوى. ولعل أعظم الدرس المستقاة من هذه الخطبة النبوية البديعة، الرحمة بالمخاطبين ودفء العاطفة نحوهم والحرص على سلامتهم ونجاتهم وسعادتهم فمن أهم أساليب الإعلام الإسلامي في الإقناع الرحمة بالمخاطبين، وفتح آفاق الأمل أمام الناس، والبعد عن التيئيس والتبكييت، ومخاطبة السلوك الإنساني على أساس الفرصة المفتوحة، وفتح حساب الاحتمالات، والبعد عن التيئيس والقرارات الحتمية المطلقة؛ لأن هذه الطرق المسدودة اتجاهات لا يقرها الإعلام الإسلامي، كما أرسى دعائم الرسول ﷺ في هذه الخطبة؛ لأن ذلك يحجر ما وسعه الله، ويربط الناس في سجن الواقع، ويخيب الآمال، قال ﷺ «يا معشر قريش: ما ترون أي فاعل بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم، وابن أخ كريم» هذا التساؤل كان بداية الخير وبداية الرحمة؛ لأن الذي يعزم على العقاب لا يستشير، ولذا استبشر أهل مكة خيراً فقالوا مقولتهم هذه، إن الرحمة بالمخاطبين والتعاطف معهم أسلوب تؤكد الدراسات الإعلامية فاعليته في الإعلام والاتصال الفعال بالجماهير.⁽⁴⁴⁾

كما يستفاد من هذه الخطبة أيضاً أساس عظيم وقاعدة عامة في النجاح في الحياة عمومًا، وفي مجال الدعوة إلى الله خصوصًا، وهو قانون العفو الذي طبقه المصطفى عليه الصلاة والسلام عمليًا وقوليًا في فتح مكة بإعلانه العفو العام عنهم؛ فالمتأمل في المدة الزمنية بين إخراج المجتمع المكي المشرك للنبي عليه السلام من مكة وفتحها وعودته إليها منتصرًا لا تتجاوز ثماني سنوات، وهي مدة وجيزة لا يتصور معها أن يكون النبي قد نسي إساءاتهم وأذاهم وعداوتهم، وحروبهم له، ومع ذلك، لما قدر النبي ﷺ عليهم عفى عنهم، إظهارًا لمعدنه الأصيل وخلقته القويم.⁽⁴⁵⁾

رابعًا: خطبة غزوة حنين والدروس والعبر المستنبطة منها:

كانت غزوة حنين في السنة الثامنة للهجرة، عقب فتح مكة مباشرة، وقد وقعت هذه الغزوة بين المسلمين وقبيلتي هوازن وثقيف في واد يسمى حنين بين مدينة مكة والطائف، وقد جرت هذه الغزوة في فترة ازدهار وانتشار الإسلام في داخل الجزيرة العربية وخارجها، حيث كان صلح الحديبية هو السبب في هذا الازدهار والانتشار لهذا الدين، وتعد من أكبر المعارك التي خاضها المسلمون في عصر النبوة، ومن أكثرها خطورة، وقد واجه فيها المسلمون صعوبات شديدة، ومواقف عسيرة، وغنم فيها المسلمون مغنم كثيرة.⁽⁴⁶⁾ وفي هذه الغزوة خطب رسول الله ﷺ خطبة بليغة بديعة رواها الطبري في تاريخه عن أبي سعيد الخدري وفيها أن رسول الله ﷺ قال: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، مَا قَالَهُ بَلَّغْتَنِي عَنْكُمْ، وَمَوْجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَلَمْ آتِكُمْ

ضَلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ، وَعَالَةً فَأَعْتَاكُمْ اللَّهُ، وَأَعْدَاءَ فَأَلْفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ! قَالُوا: بَلَى، لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ! فَقَالَ: أَلَا تُحِبُّونِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! قَالُوا: وَمَهَذَا نُحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ! قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَصَدَقْتُمْ، وَلَصَدَقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَدَّبًا فَصَدَقْنَاكَ، وَمَخْدُولًا فَتَصَرَّنَاكَ، وَطَرِيدًا فَأَوَيْتَنَاكَ، وَعَائِلًا فَاسْتَيْتَنَاكَ، وَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لِعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفَتْ بِهَا قَوْمًا لِيُسَلِّمُوا، وَوَكَلْتُمْكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ! أَفَلَا تَرَضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْبُعَيْرِ، وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ! [فو الذي نَفَسَ مُحَمَّدٌ بِيَدِهِ، لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا، لَسَلَكَتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ! اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ! قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَطًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَفَرَّقُوا].⁽⁴⁷⁾ ويذكر بن حجر العسقلاني الدروس والعبر المستنبطة من هذه الخطبة النبوية الشريفة إذ يقول: «وفي الحديث من الفوائد إقامة الحجة على الخصم، وإفحامه بالحق عند الحاجة إليه، وحسن أدب الأنصار في تركهم المماراة والمبالغة في الحياء، وبيان أن الذي نقل عنهم إنما كان عن شبانهم لا عن شيوخهم وكهولهم، وفيه مناقب عظيمة لهم لما اشتمل من ثناء الرسول البالغ عليهم وأن الكبير ينبه الصغير على ما يغفل عنه ويوضح له وجه الشبهة ليرجع إلى الحق، وفيه المعاتبنة واستعطاف المعاتب وإعتابه عن عتبه بإقامة حجة من عتب عليه والاعتذار والاعتراف وفيه علم من أعلام النبوة لقوله ستلقون بعدي أثره فكان كما قال. وفيه مشروعية الخطبة عند الأمر الذي يحدث سواء كان خاصًا أم عامًا، وفيه تسليية من فاته شيء من الدنيا مما حصل له من ثواب الآخرة، والحض على طلب الهداية والألفة والغنى وأن المنة لله ورسوله على الإطلاق، وتقديم جانب الآخرة على الدنيا، والصبر عما فات منها ليدخر ذلك لصاحبه في الآخرة، والآخرة خير وأبقى».⁽⁴⁸⁾

كما نستقرء من هذه الخطبة التاريخية العظيمة أن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام قد خص هذا الخطبة الأنصار واقتصرت عليهم وما ذلك إلا لمنزلة الأنصار من الرسول عليه الصلاة والسلام، فعالجت الخطبة مخاوف الأنصار من ميل الرسول عليه الصلاة والسلام لأهل مكة، فوضح لهم عليه الصلاة والسلام ذلك مبتدأ خطبته بتذكيرهم بفضل الله عليهم بإخراجهم من الضلال للهدى وتأليف قلوبهم بالإيمان بالله عز وجل واتباع نبيه عليه الصلاة والسلام، ثم فسر لهم سبب إجزال عطائه لمحدثي الدخول في الإسلام من أهل مكة لاستمالة قلوبهم للإسلام، متوكلاً على صدق إيمان الأنصار الخالي من حب الدنيا لسبق إيمانهم بالله ورسوله عليه الصلاة والسلام، وكأنها بيعة جديدة يعاقدون فيها على الجنة وعلى الصحبة كما عاقدتهم عليها سابقاً في بيعة العقبة الثانية بقوله لهم رداً على سؤالهم ان نصرناك فما يكون لنا فقال لهم لكم الجنة وقوله عليه الصلاة والسلام والدم الدم الهدم الهدم. وكان أسلوبه عليه الصلاة والسلام في خطبته يقوم على طرح السؤال ثم الإجابة محاكاة لما يجول في خواطرهم من أسئلة فيكون هو السائل والمجيب والخصم والحكم وبذلك يسد باب الخلاف والجدل أمامهم فيسأل بلسانهم ويرد بلسانه عليه الصلاة والسلام.

وهذه التربية النبوية العظيمة المستنبطة من هذا الخطاب النبوي التاريخي، وهذا الحوار العاطفي يدلنا من الناحية التربوية على أمور أهمها⁽⁴⁹⁾:

أ. أن الاعتماد على العواطف الربانية في المواقف الخطيرة، يجب أن يسبقه تربية صحيحة وعميقة لهذه العواطف، وكان رسول الله كما قلنا قد ربى هذه العواطف في نفوس الأنصار، حتى أصبح

ب. استخدام رسول الله ﷺ أسلوب القرآن الاستفهامي، لإثارة العواطف: وكأنه اقتبس من سورة الضحى ذلك القبس الإلهي حين قال لهم: «ألم أتكم ضللاً فهداكم الله، وعالة فأعطاكم الله، وأعداء فألف بين قلوبكم؟»

ت. راعى رسول الله ﷺ أنهم بشر وليسوا ملائكة، وأرادهم أن يدافعوا عن أنفسهم بشيء من القول، فلما استحيوا منه، دافع عنهم بالنيابة عن أنفسهم، لئلا يتك في نفوسهم شيئاً من الوجد، فقال: «أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم: أتيتنا مكذباً فصدقناك، ومخدولاً فنصرناك، وطريداً فأويناك...»، وهكذا نجد أن على المرابي في المواقف الحرجة، ألا يصدر حكمه قبل أن يسمع من الذين يريهم، أو يريد أن يحاكمهم، في هفوة ارتكبوها.

ويظهر لنا باستقراء الخطب السابقة أنها:

تشترك جميعاً في معنى كلي واحد وهو [الحرص على بناء الإنسان المسلم ورعايته] وهو هدف مركزي لا يختلف عليه أحد. ولكنها تتمايز في الأهداف الجزئية، على حسب اهتمام كل خطبة، أما المعنى الكلي ذو الهدف المركزي فهو: أن الرسول ﷺ قصد توضيح أن الناس مطالبون بالدخول في دين الله وهو الإسلام، وتعزيز إيمانهم به بالعمل على طاعة الله وتنفيذ أوامره وتجنب معصيته والامتناع عما نهى عنه، وهم مطالبون كذلك بمساعدة المحتاجين ومعاونتهم، وإنجاز التكليف الإلهية التي كلفهم الله تعالى بها، حتى لا يتعرضوا لعذابه.⁽⁵⁰⁾

أيضاً من خلال الاستقراء السابق للخطب السابقة يتضح لنا أن الخطب الثلاث الأولى في بدر واحد و الخندق كانت تتميز بحرصه عليه الصلاة والسلام على رفع الروح المعنوية لجنده من خلال تذكيرهم بطاعة الله و الحرص على طاعة نبيه و توضيح الغاية الأساسية من الجهاد، أما في خطبة عليه الصلاة والسلام في فتح مكة و حنين فكانت تأتي بعد النصر و الفتح لتقويم السلوك الإنساني بالعفو و الرحمة كما كان في فتح مكة، إضافة الى رفع العاطفة الإيمانية لدى المسلمين في حنين .

الخاتمة:

من خلال البحث في موضوع الأبعاد التاريخية والسياسية لخطب الرسول ﷺ في غزواته نجد أن خطبة عليه الصلاة والسلام في غزواته قد تميزت بأبعاد تاريخية و سياسية لكل خطبة ظهر فيها فصاحة لسانه عليه الصلاة والسلام وعظم علمته ومعرفته عليه الصلاة والسلام ، كما ظهر فيها حرصه عليه الصلاة والسلام في اختيار الزمان و المكان المناسب لكل خطبة ، إضافة تميز كل خطبة بعناصر خاصة بحديثيات كل غزوة ، فما خلصت الية الدراسة ان خطبة عليه الصلاة والسلام مع بداية تشريع الجهاد في مرحلته الأولى كانت خطبة عليه الصلاة والسلام تحض على طاعة الله و طاعة الرسول و الصبر و الثبات ، ثم عند الانتقال الى المرحلة الثانية عندما بدأ المسلمون يخرجون للقتال خارج المدينة شملة خطبة عليه الصلاة والسلام على التبشير بالعزة و المنعة والفتح وان هذا الدين سيعز ، فرأيناه عليه الصلاة والسلام يعفو ويصفح ، وعندما بدأت الجيوش الإسلامية تخرج خارج شبه الجزيرة العربية شملة خطبة على ضرورة الالتزام بتشريعات الإسلام في نشر السلام و التحلي بأخلاقيات المسلمين .

- إننا وبصد خاتمة هذا البحث، نجمل أهم النتائج والتوصيات التي توصلنا إليها وذلك على النحو الآتي:
- كان عليه الصلاة والسلام أفصح قريش قاطبة اجتمعت فيه فصاحة اللفظ وجودة التركيب وحسن الإلقاء، فبلغ من البلاغة ذروتها، ووصل من الروعة قمتهما، تجد في طيات حديثه جوامع الكلم وروائع الحكم هو القول الفصل.
 - خطب الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام كانت ترسم لسمات المجتمع المسلم وخصائصه التي تميزه عن غيره من المجتمعات، بوضع القواعد والأصول التي يقوم عليها كيانه سواء في تنظيم العلاقات المختلفة بين أفرادها أو بين الأفراد ومن يتولون إدارة شؤونهم، أو بين المجتمع الإسلامي والمجتمعات المعاصرة له.
 - من أجل الدروس والعبر المستنبطة من خطبة غزو بدر هي التربية المحمدية سواء أكانت في صورة العبادة في تلقين عبادة التوحيد، أم إرجاع الأمر إلى الله مع حسن العمل أم الإيمان بالمساواة في عمل الدنيا والآخرة، أم إثارة الشهادة في سبيل العقيدة على الحياة، وما يتعلق بها من أحوال الأهل والعشيرة وكذلك انطباع نفوسهم بطاعة الرسول وأولي الأمر منهم
 - من أجل العبر والعظات والدرس المستفادة من خطبة أُحد توجيه رسول الله ﷺ أصحابه إلى عوامل النصر، والغلبة، وأساسها إعداد العدة، والصبر، واللجوء إلى الله وحسن الطاعة والانقياد، وأداء الواجبات، وصدق التوكل، وإخلاص التقوى، وتقدير محارم الله تعالى، والإيمان التام بقدره سبحانه وتعالى.
 - ومن اعظم العبر المستفادة في غزوة الخندق او الأحزاب البشارات النبوية للفتح الإسلامي و الوعد بالعزة المسلمين و منعتهم و رفع شأنهم حتى ان الواحد منهم سيصبح قدوة يحتذى به .
 - أعظم الدرس المستفادة من خطبة فتح مكة، الرحمة بالمخاطبين ودفء العاطفة نحوهم والحرص على سلامتهم ونجاتهم وسعادتهم، وفتح آفاق الأمل أمام الناس، والبعد عن التئيب والتبكي، ومخاطبة السلوك الإنساني على أساس الفرصة المفتوحة، وفتح حساب الاحتمالات، والبعد عن التئيب والقرارات الحتمية المطلقة.
 - إن من أعظم الفوائد في خطبة الرسول ﷺ في حنين إقامة الحجة على الخصم، وإفحامه بالحق عند الحاجة إليه، وحسن أدب الأنصار في تركهم المماراة والمبالغة في الحياء، وفيها المعاتبه واستعطاف المعاتب وإعتابه عن عتبه بإقامة حجة من عتب عليه والاعتذار والاعتراف، وفيها تسلية من فاته شيء من الدنيا مما حصل له من ثواب الآخرة، والحض على طلب الهداية والألفة والغنى وأن المنة لله ورسوله على الإطلاق، وتقديم جانب الآخرة على الدنيا، والصبر عما فات منها ليدخر ذلك لصاحبه في الآخرة.
 - وقد أوصت الدراسة بجملة من التوصيات على النحو الآتي:
 - ضرورة الاهتمام بجمع خطب الرسول ﷺ في غزواته في حله وترحاله، وترتيبها حسب الأزمان والأمصار التي قيلت فيها، وحسب المناسبات التي ذكرت من أجلها لدراستها وتوضيحها.

الأبعاد التاريخية والسياسية لخطب الرسول ﷺ في غزواته (دراسة تاريخية)

- الاستزادة من الدراسات والأبحاث التي تتناول الأبعاد التاريخية لخطب الرسول عليه الصلاة والسلام لكي نستلهم منها الدروس والعبر في واقعنا المعاصر.

المصادر والمراجع:

- (1) ابن حجر العسقلاني (1379هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة: بيروت- لبنان، ط1.
- (2) ابن حجر العسقلاني (2014). بلوغ المرام من أدلة الأحكام، تحقيق: الدكتور ماهر ياسين الفحل، دار القبس للنشر والتوزيع: الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1.
- (3) ابن قيم الجوزية (1994). زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع: بيروت- لبنان، ط27.
- (4) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (1997). البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1.
- (5) ابن منظور، محمد بن مكرم (1414هـ). لسان العرب، دار صادر: بيروت- لبنان، ط3.
- (6) أبو بكر البيهقي (2003). السنن الكبرى، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط3.
- (7) أبو زهرة، محمد (1980). الخطابة أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، دار الفكر العربي: بيروت- لبنان، ط2.
- (8) أبو فارس، محمد عبد القادر (1993). المدرسة النبوية العسكرية، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع: عمان: الأردن، ط1.
- (9) آل نواب، عبد الرب بن نواب الدين بن غريب الدين (1425هـ). تدريب الدعاة على الأساليب البيانية، الإسلامية بالمدينة المنورة، ع128، س37.
- (10) البنداري، حسن أحمد (2014). الخطاب الرئاسي في عصر النبوة، فكر وإبداع- رابطة الأدب الحديث.
- (11) ثابت، سعيد بن علي (1417هـ). الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط1.
- (12) الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (1423هـ). البيان والتبيين، دار ومكتبة هلال للنشر والتوزيع: القاهرة- مصر، ط1.
- (13) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين (1983). التعريفات، دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، ط1.
- (14) حسين عبد العالي اللهيبي (2008). الخطابة العربية في العصر العباسي الأول، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد3-4.
- (15) حسين، محمد الخضر (2010). موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، جمعها وضبطها: المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر: دمشق- سورية، ط1.
- (16) الحسيني، عفاف حسن أحمد (2009). القيم والمبادئ المتضمنة لخطبة الرسول صلى الله عليه في حجة الوداع، مجلة كلية التربية - جامعة المنصورة، ج69.
- (17) الحصين، سلطان بن عمر (2015). دراسة دعوية لبعض الخطب النبوية، مجلة كلية دار العلوم - جامعة القاهرة، ع82.
- (18) حمزة، عبد اللطيف. الأعلام في صدر الإسلام، دار الفكر العربي: القاهرة- مصر.
- (19) خضر، حازم عبد الله (1981). معالم الحضارة الإسلامية في خطب الرسول ﷺ، آداب الرفادين، جامعة

- الموصل - كلية الآداب، ع13.
- (20) خفاجي، محمد عبد المنعم (1992). الحياة الأدبية في العصر الجاهلي لمحمد عبد المنعم، دار الجيل: بيروت- لبنان، ط1.
- (21) زيدان، جرجي (1911). تاريخ آداب اللغة العربية، دار ومطبعة هلال للنشر والتوزيع: القاهرة- مصر.
- (22) السباعي، مصطفى بن حسني (1985). السيرة النبوية - دروس وعبر، المكتب الإسلامي للنشر، ط3.
- (23) السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق (1408هـ). المراسيل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة: بيروت- لبنان، ط1.
- (24) سوطري، فهمي محمد (2019). تطور فن الخطابة في صدر الإسلام، هدي الإسلام، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، م60، ع2.
- (25) الشامي، محمد بن يوسف الصالحي (1993). سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الواحد والشيخ علي معوض، دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، ط1.
- (26) شحاتة، عبد الله محمود (1974). غزوة بدر الكبرى، الوعي الإسلامي - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، س10، ع117.
- (27) شولي، وسيم عبد الجليل مصطفى (2016). خطبة الرسول الكريم بعد غزوة حنين: دراسة بلاغية تحليلية، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، كلية الإمارات للعلوم التربوية، ع10.
- (28) الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي (1387هـ). تاريخ الرسل والملوك، دار التراث: بيروت- لبنان، ط3.
- (29) الطيار، عبد الله بن محمد بن أحمد (1425هـ). الصلاة وصف مفصل للصلاة بمقدماتها مقرونة بالدليل من الكتاب والسنة، وبيان لأحكامها وآدابها وشروطها وسننها من التكبير حتى التسليم، مدار الوطن للنشر، ط10.
- (30) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (1419هـ). الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية: بيروت- لبنان، ط1.
- (31) غلوش، أحمد (2004). السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت- لبنان، ط1.
- (32) فياض، نقولا (2015). الخطابة، مؤسسة هندواي للنشر، ط1.
- (33) الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (2005). القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي وآخرون، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت - لبنان، ط8.
- (34) اللهبي، حسين عبد العال (2014). الخطابة العربية في العصر الوسيط (656- 1213 هـ): دراسة في الموضوع والفن، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، م1، ع16.
- (35) المقرئ، أحمد بن علي بن عبد القادر (1999). إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، ط1.

د. أمل عبيد عواض الثبيتي

- (36) النحلاوي، عبد الرحمن (2007). أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: دمشق- سورية، ط25.
- (37) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي (1989). المغازي، تحقيق: مارسدن جونس الناشر، دار الأعلمي: بيروت- لبنان، ط3.

الهوامش:

- (1) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين (1414هـ). لسان العرب، دار صادر: بيروت- لبنان، ط3، ج4، ص-134 135؛ الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (2005). القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي وآخرون، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت - لبنان، ط8، ص103.
- (2) حسين عبد العالي اللهيبي (2008). الخطابة العربية في العصر العباسي الأول، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد3-4، ص93.
- (3) الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين (1983). التعريفات، دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، ط1، ص99.
- (4) خفاجي، محمد عبد المنعم (1992). الحياة الأدبية في العصر الجاهلي لمحمد عبد المنعم، دار الجيل: بيروت- لبنان، ط1، ص153.
- (5) حسين، محمد الخضر (2010). موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، جمعها وضبطها: المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر: دمشق- سورية، ط1، ج7، ص144.
- (6) أل نواب، عبد الرب بن نواب الدين بن غريب الدين (1425هـ). تدريب الدعاة على الأساليب البيانية، الاسلامية بالمدينة المنورة، ع128، س37، ص358.
- (7) انظر: اللهيبي، حسين عبد العال (2014). الخطابة العربية في العصر الوسيط (-656 1213 هـ): دراسة في الموضوع والفن، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، م1، ع16، ص-335 356؛ فياض، نقولا (2015). الخطابة، مؤسسة هنداوي للنشر، ط1.
- (8) سوطري، فهمي محمد (2019). تطور فن الخطابة في صدر الإسلام، هدي الإسلام، وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية، م60، ع2، ص66.
- (9) الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني (1423هـ). البيان والتبين، دار ومكتبة هلال للنشر والتوزيع: القاهرة- مصر، ط1، ج3، ص300.
- (10) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (1419هـ). الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية: بيروت- لبنان، ط1، ص135.
- (11) زيدان، جرجي (1911). تاريخ آداب اللغة العربية، دار ومطبعة هلال للنشر والتوزيع: القاهرة- مصر، ج1، ص217.
- (12) أبو زهرة، محمد (1980). الخطابة أصولها تاريخها في أزهى عصورها عند العرب، دار الفكر العربي: بيروت- لبنان، ط2، ص212.
- (13) المرجع السابق، ص213.
- (14) حمزة، عبد اللطيف. الأعلام في صدر الإسلام، دار الفكر العربي للطباعة والنشر: القاهرة- مصر، ص172.
- (15) خضر، حازم عبد الله (1981). معالم الحضارة الإسلامية في خطب الرسول ﷺ، آداب الرافدين، جامعة الموصل - كلية الآداب، ع13، ص316.

- (16) المرجع السابق: ص316.
- (17) ابن قيم الجوزية (1994). زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع: بيروت- لبنان، ط27، ج1، ص179.
- (18) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، 2/ 529، حديث رقم 867.
- (19) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، مرجع سابق، 1/180.
- (20) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب التحية والإمام يخطب، 2/ 596، حديث رقم 875.
- (21) انظر: الطيار، عبد الله بن محمد بن أحمد (1425هـ). الصلاة وصف مفصل للصلاة بمقدماتها مقرونة بالدليل من الكتاب والسنة، وبيان لأحكامها وآدابها وشروطها وسننها من التكبير حتى التسليم، مدار الوطن للنشر، ط10، ص259.
- (22) أبو بكر البيهقي (2003). السنن الكبرى، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ط3، ج3، ص305.
- (23) السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق (1408هـ). المراسيل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة: بيروت- لبنان، ط1، ص103.
- (24) حازم خضر، معالم الحضارة الإسلامية في خطب الرسول ﷺ، مرجع سابق، ص319.
- (25) السباعي، مصطفى بن حسني (1985). السيرة النبوية - دروس وعبر، المكتب الإسلامي للنشر، ط3، ص165.
- (26) لحازم خضر، معالم الحضارة الإسلامية في خطب الرسول ﷺ، مرجع سابق، ص319.
- (27) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، مرجع سابق، 1/409.
- (28) الحسيني، عفاف حسن أحمد (2009). القيم والمبادئ المتضمنة لخطبة الرسول صلى الله عليه في حجة الوداع، مجلة كلية التربية - جامعة المنصورة، ج69، ص475.
- (29) المرجع السابق .
- (30) انظر: المقريزي؛ أحمد بن علي بن عبد القادر (1999). إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة المتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، ط1، ج1، ص81؛ الشامي، محمد بن يوسف الصالحي (1993). سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الواحد والشيخ علي معوض، دار الكتب العلمية: بيروت- لبنان، ط1، ج4، ص34.
- (31) انظر: أبو فارس، محمد عبد القادر (1993). المدرسة النبوية العسكرية، دار الفرقان للطباعة والنشر والتوزيع: عمان: الأردن، ط1، ص140؛ غزوات الرسول: غزوات وعبر وفوائد لعلي الصلابي، مرجع سابق، ص42.
- (32) شحاتة، عبدالله محمود (1974). غزوة بدر الكبرى، الوعي الإسلامي - وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، ص10، ع117، ص25.
- (33) عبد الله شحاتة، المرجع السابق، ص25.

- (34)الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي (1989). المغازي، تحقيق: مارسدن جونس الناشر، دار الأعلمي: بيروت- لبنان، ط3، ج1، ص221.
- (35)غلوش، أحمد (2004). السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت- لبنان، ط1، ص336.
- (36)عبدالعزیز السلیمان:مفتاح الأفكار،ج2، ص 59.
- (37)ابن هشام ج3،226،والوافدي ص362، وابن سعد ج2 ق1 ص147، والطبري 2 / 564.
- (38)أنساب الأشراف 1 / 165 والبخاري 5 / 107، وصحيح مسلم بشرح النووي 12 / 145، 12 / 171، وابن سيد الناس 2 / 54، وابن كثير 4 / 92 والنويري 17 / 666، والسيرة الحلبية 2 / 401.
- (39)ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (1997). البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، ج6، ص-567 568.
- (40)ابن حجر العسقلاني (2014). بلوغ المرام من أدلة الأحكام، تحقيق: الدكتور ماهر ياسين الفحل، دار القبس للنشر والتوزيع: الرياض - المملكة العربية السعودية، ط1، ج1، ص287.
- (41)أخرجه الإمام البخاري، صحيح البخاري بشرح ابن حجر العسقلاني، ط1، (الرياض: نشر وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد 1379هـ) ص205، وقال ابن حجر: الزيادة عن الوليد بن مسلم قلت للأوزاعي ما قوله اكتبوا لي؟ قال هذه الخطبة التي سمعها من رسول الله ﷺ المرجع نفسه، ص 206.
- (42)البنداري، حسن أحمد (2014). الخطاب الرئاسي في عصر النبوة، فكر وإبداع- رابطة الأدب الحديث، ج87، ص15.
- (43)الحصين، سلطان بن عمر (2015). دراسة دعوية لبعض الخطب النبوية، مجلة كلية دار العلوم - جامعة القاهرة، ع82، ص495.
- (44)ثابت، سعيد بن علي (1417هـ). الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط1، ص62.
- (45)دراسة دعوية لبعض الخطب النبوية لسلطان الحصين، مرجع سابق، ص498.
- (46)شولي، وسيم عبدالجليل مصطفى (2016). خطبة الرسول الكريم بعد غزوة حنين: دراسة بلاغية تحليلية، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، كلية الإمارات للعلوم التربوية، ع10، ص75.
- (47)الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (1387هـ). تاريخ الرسل والملوك، دار التراث: بيروت- لبنان، ط3، ج3، ص-93 94.
- (48)ابن حجر العسقلاني (1379هـ). فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة: بيروت- لبنان، ط1، ج8، ص52.
- (49)النحلوي، عبد الرحمن (2007). أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: دمشق- سورية، ط25، ج8، ص186.
- (50) الخطاب الرئاسي في عصر النبوة لحسن البنداري، مرجع سابق، ص14.